نقض الكاتب التركي ماأتى به بعض أرباب الاهواء وزيفه بالبرهان السديد ثم نقل ماقاله رئيس مدرسة آثينة الكلية في تاريخه العام عند كلامه على الاسكندرية من ان هذه المكتبة حرقت لدن وصول قيصر الى مصر وان مابقي من الكتب تلف قبل استيلاء المسلمين على الاسكندرية بزمن طويل وان مايحكى من ان عمرو بن العاص حرقها ان هي الا فقرة مدخولة بعد هذا . وقد عرب ماتقدم حباً باظهار حقيقة طال البحث فيها وتعارضت الآراء بأمرها والحقيقة ضالة كل باحث ومستفيد

مصر

معربة عن الفرنسية

بلادها ـ مصر عبارة عن وادي النيل وهي في مضطرب ضيق خصيب ممتد على ضفتي النهر بين سلسلتين من الصخور طولها ٢٤٠ فرسخاً ويكاد عرضها لا يتجاوز خمسة فراسخ وعند منقطع الصخور تبدأ الدلتا . وهناك سهل واسع تتخللهُ شعب النيل وترعه . فمصر كما قال هيرودتس أبو التاريخ هبة من النيل .

النيل ـ يزخر النيل كل سنة في الانقلاب الصيفي بصارات ثلوج بلاد الحبشة فيفيض على أراضي مصر العطشى يرتفع ثمانية أمتار وأحياناً عشرة فتصبح البلاد كالبحيرة وتبرز القرى المشيدة على الآكام كانها جزيرات ثم تنخفض المياه في أيلول (ستمبر) ويعود النهر في كانون الاول (دسمبر) الى مجراه الاصلي وقد ترك في كل مكان طبقة من الطين خصبة وهي الاءبلز وتسمى الطمي . هذه الرواسب تقوم مقام السماد ويكاد يزرع في التربة الندية بدون حرث . فالنيل إذاً يأتي مصر بالماء والتربة واذا تحول عنها تعود

مصر كالبلاد المحيطة بها قاعاً صفصفاً ، ورمالا مجدبة ، ما أمطرتها السماء وابلا ولا رذاذاً . ولم يجهل المصريون فيما مضى ما يجود به نيلهم من الخيرات الحسان وهاك نشيداً كانوا ينشدونه تعظيماً له : «سلام عليك أيها النيل أنت الذي تتجلى على هذه الارض وتأتي بسلام فتحيي موات مصر . أنت اذا انجليت تملأ الارض طرباً ، والقلوب بشراً ، فينال كل مخلوق قوته ، وكل سن ما تقضمه ، رحماك إنك تأتي بالارزق الطيبة وتنتج كل خير ومير وتنبت للبهائم مرعاها »

غنى هذه البلاد — مصر على التحقيق واحة في قفر إفريقية تنبت تربتها البر والفول والعدس وأنواع البقل . والنخيل فيها غابات وآجام . وفي تلك المروج التي يرويها النيل بمائه ترعى قطعان الغنم والثيران والمعز والاوز وتكاد مساحتها تساوي بلاد البلجيك (٢٩٤٠٠ كيلو متر مربع) ومصر اليوم تقوم بأود ١١ مليوناً (١) من السكان وهي نسبة لاتعهد في أوربا على ان مصر كانت آهلة بالسكان قديماً أكثر منها اليوم

روايات هيرودتس ـ عرف اليونان مصر أحسن من معرفتهم سائر الممالك الشرقية فزارها هيرودتس أبو التاريخ في القرن الخامس ق . م ووصف في تاريخه فيضان النيل واخلاق السكان وازياءهم ودينهم وذكر حوادث من تاريخهم وحكايات لقنها من أدلائه . وتكلم ديودور وسترابون على مصر أيضاً . بيد ان كل من ذكروها رأوها في انحطاط فلم يتيسر لهم ان يعرفوا شيئاً عن قدماء المصريين .

شامبوليون ـ دعت حملة الفرنسيس على مصر (١٧٩٨ ـ ١٨٠١) الى

---

(١) في الاصل زهاء خمسة ملايين نسمة ونصف مليون

فتح أبواب الديار المصرية للعلماء فهرعوا اليها يزورون الاهرام وخرائب ثيبة عن أمم ويعودون منها وقد حفل وطابهم بالصور والآثار . ولم يكن لاحد ان يحل الخط المصري المسمى بالهيروغليفي . وتوهم الناس ان كل خط من هذه الكتابة يقوم مقام كلمة حتى اذا كان عام ١٨٢١ خالفهم شامبوليون احد علماء الفرنسيس وعمد الى طريقة أخرى وجاء أحد الضباط من رشيد بأثر ذي خطوط ثلاثة كانت الخطوط الهيروغليفية المسطورة بها مترجمة الى الرومية . وهذا الاثر يمثل الملك بطليموس محاطاً بدائرة . فتوصل شامبوليون بهذا الاسم الى الاطلاع على حروف PTOLMIS ولدى مقابلتها باسماء ملوك أخر وكانت ايضاً محاطة بدائرة اكتشف حروف الهجاء . ولما تيسرت له قراءة الخطوط الهيروغليفية ظهر له انها كتبت بلغة تشبه القبطية وهي اللغة التي شاعت بمصر على عهد الرومان وعرفت حق معرفتها .

علماء الآثار المصرية ـ جاء بعد شامبوليون زمرة من العلماء توفروا على دراسة أحوال مصر واكتشاف جليها وخفيها وتدعى هذه الفئة من العلماء اجبتولوك أي المشتغلون بالآثار المصرية ولهم رصفاء في ممالك أوربا كافة . وقد أجرى ماريت (١٨٢١ ـ ١٨٨١) من المشتغلين بالآثار المصرية على نفقة خديوي مصر مايقتضي من الحفريات وأحدث متحف بولاق . وانشأت فرنسا في القاهرة مدرسة لتعليم الآثار المصرية ناطت ادارتها بالمسيو ماسبرو .

الاكتشافات الحديثة ـ لايعثر في بلد من بلدان الارض على خبايا ثمينة كخبايا مصر ودفائنها لان المصريين كانوا يبنون قبورهم أشبه بدور

يضعون فيها مايقتضي للميت من ضروب الامتعة والاثاث والرياش والسلاح والطعام وقد غصت البلاد بالقبور الطافحة بهذه الذخائر والاعلاق . وساعد اقليم مصر الجاف الهواء على حفظ هذه الامتعة سالمة بعد مضي اربعة او خمسة آلاف سنة . فلم يترك شعب من الشعوب القديمة أثراً كآثار قدماء المصريين وما عرفنا شعباً معرفتناله .

المملكة المصرية

قدم الشعب المصري ـ قال كاهن مصري لهيرودتس : انتم معاشر اليونان اطفال . كلام يفهم منه ان المصريين كانوا يرون انفسهم أقدم أمم العالم فقد قامت ست وعشرون سلالة ملكية الى عهد الفتح الفارسي سنة ٥٢٠ ق . م ترتقي أولاها الى أربعة آلاف سنة . وكانت مصر دولة في خلال هذه الاربعين قرناً فجعلت منفيس في بلاد الصعيد عاصمتها اولا الى عهد السلالة العاشرة (وهو دور الدولة القديمة) ثم صارت مدينة ثيبة في مصر العليا (وهو دور الدولة الحديثة)

منفيس والاهرام ـ بنى مدينة منفيس أول من ملك مصر وسورها بسور منيع فبقيت سالمة من بوائق الايام زهاء خمسة آلاف سنة ثم أخذ السكان أحجار انقاضها في القرن الثالث عشر وبنوا بها مساكن القاهرة وما تركوه منها أتى عليه النيل وسدل دونه حجاباً. أما الأهرام فلا تبعد كثيراً عن منفيس ويرد عهدها أيضاً الى الدور القديم وهي قبور ثلاثة ملوك من السلالة الرابعة وعلو اعظمها ١٤٧ متراً عمل في بنائه مئة الف عامل مدة ثلاثين سنة . وقد اقيمت سدود منحدرة قليلا لرفع الاحجار الى شاهق ثم خربت

التمدن المصري ـ يدل ما يستخرج من قبور تلك الاعصر من هيا كل وصور وأدوات على أن هناك شعباً متمدنا . فقد عرف المصريون قبل ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة للميلاد حراثة الارض ونسج الثياب وتطريق المعادن والنقش والرسم والخط وكانت لهم ديانة منظمة وملك وادارة . على حين كانت الامم النبيهة وهم الهنود والفرس واليهود واليونان والرومان في حالة من الهمجية مأثورة مذكورة . .

ثيبة ـ خلفت ثيبة مدينة منفيس فصارت عاصمة البلاد على عهد السلالة الحادية عشرة ولم تزل خرائبها المدهشة في لوح الوجود وهي ممتدة على ضفتي النيل ومحيطها نحو اثني عشر كيلو متراً . وعلى الشاطيء الشمالي صف من القصور وهي لقصر والكرنك تبعد بعضها عن بعض نصف ساعة بنيت كلتاهما وسط الخرائب ويجمع بينهما شارع ذو صفين من تماثيل أبي الهول وكان هناك قديماً أكثر من ألف أبي الهول . وأعظم هذه المعابد الخربة معبد عمون في الكرنك أحيط به سور محيطه ٢٣٠٠ متر . وان طول اشهر قصر (ايبوستيل) وأعظمه في العالم مئة ومتران وعمقه ٥٣ متراً وهو حجم عمود فاندوم . وكانت ثيبة عاصمة ومدينة مقدسة ومقر الملوك ومسكن الكهنة نحو ألف وخمسمائة سنة

فرعون ـ يعتبر ملك مصر المعروف بفرعون ابن رب الشمس ومثاله على الارض ويزعمون انه كان هوروباً . وقد شوهدت صورة الملك رعمسيس الثاني جالساً بين ملكين . فالملك يتعبد انساناً ويعبد ملكاً ولفرعون سلطة مطلقة على البشر لربوبيته فيحكم حكم المولى على كبار سادات قصره وعلى المقاتلة ورعاياه كافة والكهنة في عبادتهم إياه يلتفون من حوله ويحرسونه

فيكون رئيسهم الكاهن الاعظم للرب عمون المستأثر بالطول والطرل دونه وقد يحكم باسم الملك ويخلفه في الاحايين

الرعايا — يملك مصر من أعلاها الى أسفلها الملك والكهنة والجند والموالي وما عداهم فوصفاء يستخدمونهم في حرث الارض وعمال الملك يلاحظونهم ويقبضون ثمار عملهم بضرب العصي أحياناً واليك ما كتبه أحد هؤلاء الموظفين الى صديق له : ألا تذكر حالة الفلاح الذي يحرث الارض فان جابي الاموال يقف على الرصيف المعد لجباية عشر الغلات وثلة من العمال بعصيهم يتبعونه وزنوج ماسكون بايديهم سعفات النخل يصرخون بصوت واحد : البدار البدار الى تسليم الحبوب . واذا لم يكن للفلاح ما يؤديه من الغلات يلقونه على الارض ويشدون وثاقه ويجرونه في الترعة رأسه الى تحت وقدماه الى فوق

كيفية حكم مصر — كان الشعب المصري أبداً ولم يزل بعدُ فرحا لا يهتم خاضعاً خانعاً أشبه بالطفل المستسلم الى ظالمه . وكانت العصا في هذه البلاد أداة التربية والحكومة حتى كان أعوان الملك يقولون : (خلق ظهر الفتى ليضرب فهو لا يمتثل الأمر الا اذا ضرب) ذكر أحد سياح الفرنسيس انه كان واقفاً ذات يوم أمام خرائب ثيبة فهتف قائلا : ليت شعري كيف بنوا كل هذا . فاستضحك دليله وقال ماسكا بيده مشيراً الى نخلة : « بهذه بنوا هذا اجمع » اعلم يا مولاي انه اذا كسرت مئة ألف سعفة من سعف النخل على ظهر من اكتافهم عريانة أبدا تبنى قصور كثيرة ومعابد

اعتزال المصريين — قلما خرج المصريون من بلادهم لما انهم حاذروا ركوب البحر ولذلك لم تكن لهم ملاحة وما اتجروا والشعوب الاخرى ولم

تمرن لهم بحرية الا على عهد الدولة السادسة والعشرين وما كانوا أمة حربية قط . ولقد قاد ملوكهم الجند في حروبهم واتخذوا القتال ديدنهم فبعثوا البعوث الى زنوج الحبش تارة والى القبائل السورية أخرى فاذا غلبوا صوروا صورة النصرة على جدران قصورهم ومتى قفلوا راجعين من غزواتهم يأتون بالاسارى فيستخدمونهم في بناء المعاهد على انهم ما احرزوا قط نصراً مؤزراً ولا فتحوا فتحاً مبيناً فدهم الاغيار مصر اكثر مما حمل المصريون على الاغيار

حسنات القرن الماضي

عن الافرنجية

تقدم في البحث السالف ما اصاب المجتمع الغربي من السيئات والمضنيات والآن نلم بما أتاه القرن التاسع عشر من الحسنات والمقومات فنقول : ان الثورة السياسية الاجتماعية العظيمة التي حدثت في القرن الماضي في أوربا قد أثرت في تحسين القوى العقلية في الاجيال الحديثة كما أحدثت الاكتشافات العلمية وانتشار التعليم بين السواد الأعظم من الناس نشوءاً وارتقاء في المجتمع الحديث وفي الافكار التي يجري عليها فتحكم فيه حكمها وها نحن نعطي البيان حقه من شرح النتائج الظاهرة من التربية الحديثة طبيعية كانت أو عقلية أو أدبية ونذكر ما أثرت في الشبان من تغيير طرق معيشتهم وأعمالهم وأفكارهم حتى صار من همّ بعضهم ان يسيروا بالانسانية نحو الكمال وان كان ذلك الآن من المحال

وأعظم هذه الحادثات وأولها هي الثورة الفرنسوية اذ قوضت المبادئ التي كانت أساساً للحضارة الأوربية مدة قرون عديدة وبهذا كانت فرنسا مهد الاصلاح الاجتماعي العظيم والارض التي نمت فيها وربت تلك الافكار